The First World War and its repercussions on Egypt between 1914-1918

Yossef Ragab*

(Received 9 / 3 / 2020. Accepted 16 / 7 / 2020)

□ ABSTRACT □

This research deals with an important period in the history of Arab Egypt, which is the period of the First World War and its impact on the Arab region in general and Egypt in particular. Likewise, its importance increased after the opening of the Suez Canal. Britain subjected Egypt to direct military rule to prevent unrest in this vital region, and the Egyptian people who yearned for freedom and independence from colonial domination and restricting political freedoms were curbed This is to benefit in harnessing the Egyptian capabilities of agricultural crops and harnessing the people in potholes and building roads and bridges to facilitate the movement of the British army during the First World War, as Egypt lived in the four years of the war very bad conditions represented in extreme poverty and confiscations in addition to forced labor, but Egypt was unable to occupy the British For its lands and it was resisting until it gained its independence from the British occupation after massive sacrifices to reach the desired goal..

Key words: Egypt – Britain – world war1 – confiscations – colonial control.

***Master Modern And Contemporary History, College of Arts and Humanities - Tishreen University - Lattakia - Syria.**

الحرب العالمية الأولى ومنعكساتها على مصر بين عامي 1914-1918م

يوسف رجب*

(تاريخ الإيداع 9 / 3 / 2020. قبل للنشر في 16 / 7 / 2020)

□ ملخّص □

يتناول هذا البحث فترة مهمة من تاريخ مصر العربية وهي فترة الحرب العالمية الأولى وتأثيرها على المنطقة العربية عامة ومصر خاصة، فقد عانت مصر من هذه الحرب بشكل خاص نتيجة تواجد الاحتلال البريطاني على أراضيها، فقد كانت بريطانيا تعتبرها الشريان الرئيسي على طريق مواصلاتها مع مستعمراتها في الهند وكذلك زادت أهميتها بعد افتتاح قناة السويس، فقد أخضعت بريطانيا مصر للحكم العسكري المباشر لمنع حصول قلاقل في هذه المنطقة الحيوية، وكبحت جماح الشعب المصري التواق للحرية والاستقلال من السيطرة الاستعمارية، وتقييد الحريات السياسية، وذلك للاستفادة في تسخير المقدرات المصرية من محاصيل زراعية وتسخير الشعب في الحفر وانشاء الطرق والجسور لتسهيل حركة الجيش البريطاني أثناء الحرب العالمية الأولى، حيث عاشت مصر في سنوات الحرب الأربعة ظروفاً سيئة للغاية تمثلت في الفقر الشديد والمصادرات بالإضافة لأعمال السخرة، ولكن مصر لم تستكن للاحتلال البريطاني لأراضيها وظلت تقاوم حتى حصلت على استقلالها من الاحتلال البريطاني بعد تضحيات جسيمة للوصول إلى الغاية المنشودة.

الكلمات المفتاحية: مصر – بريطانيا– الحرب العالمية الأولى – المصادرات – السيطرة الاستعمارية.

* **ماجستر تاريخ حديث ومعاصر – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين– اللاذقية– سورية**

مقدمة:

شكل التاريخ الحديث و المعاصر جزءاً هاماً من تاريخ الأمة العربية، وعلى اعتبار مصر جزءاً لا يتجزأ من وطننا العربي و تاريخها مرتبط بهذه الأمة و كونها كانت تابعة للدولة العثمانية التي شاخت في نهاية القرن التاسع عشر وبداية العشرين، مما أدى إلى طمع كثير من الدول الأوروبية فيها بحكم أهمية موقعها الاستراتيجي، و قد تمثلت هذه الأطماع بالصراع بين الدول الأوربية و سرعان ما تحول هذا الصراع إلى صدام عسكري نتجت عنه حرب عالمية كانت لها نتائج بالغة الأهمية انعكست على تاريخنا الحديث.

و لما كانت مصر محط أطماع بريطانيا فقد شهدت جزءاً من أحداث الحرب العالمية الأولى هذه الحرب التي تعتبر مرحلة تحول هامة في تاريخ الحروب البشرية، فهي أول حرب عالمية بمعنى الكلمة، حيث استخدمت فيها أسلحة التدمير الآلية على نطاق لم يسبق للعالم أن شهد مثله.

في بداية الحرب العالمية 1914م نرى بريطانيا تود الإبقاء الدائم على الاتصال بمستعمراتها في الهند، و على اعتبار قناة السويس شريان الحياة البريطانية فأبقت لذلك جيشاً كبيراً في مصر للمحافظة على هذه القناة.

أما الحال عند المصريين أصحاب القناة فهناك نظاماً خديوياً ترتبط مصالحه مع مصالح بريطانيا يساعده طبقة من مخلفات الأتراك يتحكمون باقتصاد البلاد.

أما القاعدية الشعبية و هي الأساس تعاني من ظروف اجتماعية و اقتصادية صعبة حيث عليها أن تزرع القطن لتقدمه إلى مصانع المانشيستر الإنكليزية. و قد كانت هناك حركات وطنية تنادي \ مصر للمصريين \ لكن هذه الدعوات كانت غامضة المفاهيم، ففيها الإخلاص لسدة السلطان في الآستانة و محاولة بعث الخلافة الإسلامية بسمات دينية على نحو أو آخر، في مثل هذا الوقت نشبت أحداث الحرب العالمية هذه الأحداث التي أحيت الوعي القومي لدى المصريين، و يمكن ملاحظته من خلال نشاط الأحزاب السياسية التي أسفرت فيما بعد عن قيام ثورة سعد زغلول (1919م) و نمو الحركات الوطنية التي قطف ثمارها المصريين في ثورة 1952.

الأهمية وسبب الاختيار:

إن دراسة تاريخ مصر في فترة الحرب العالمية الأولى يتمتع بأهمية كبيرة تتمثل بوجود قناة السويس المعبر المائي الأهم في المنطقة العربية، وأهمية موقع مصر على طرق التجارة العالمية مما جعلها مطمعاً لبريطانيا سيدة البحار في ذلك الوقت، ومطمعاً لفرنسا العدو اللدود لبريطانيا لتهديد طرق تجارتها والحصول على مكتسبات منها في المستعمرات الفرنسية، وكذلك للدولة العثمانية التي تعتبر مصر تحت سيادتها، والذي دفع الشعب المصري لدفع فاتورة هذا الصراع الاستعماري من ثروات بلاده التي سيطر عليها الاستعمار، واستخدم الشعب في أعمال السخرة والحفر وتشييد الجسور وشق الطرقات للقوات الاستعمارية.

الإشكالية:

إن دراسة مصر في هذه الفترة العصيبة يطرح العديد من التساؤلات منها:

1–هل أرادت الدولة العثمانية استعادة مصر من الانكليز، أم أرادت تهديد القوات الاجنبية الموجودة فيها؟

2–هل أرادت بريطانيا الدفاع عن مصر في وجه الدولة العثمانية، أم أرادتها مركز للعمليات الحربية ضد ألمانيا والدولة العثمانية؟

3-هل استطاع الوطنيون المصريون الوصول إلى مطالبهم التحررية، أم استطاعت بريطانيا إيقاف المد الثوري المصري وبسط سلطتها المطلقة على مصر؟

هذه التساؤلات سوف يقوم البحث بالإجابة عنها، وشرح أبعاد السيطرة البريطانية على مصر، وآثار الحرب العالمية الأولى على مصر والمصريين.

المنهجية المتبعة:

إن دراسة هذا البحث اعتمد على المنهج التاريخي القائم على جمع المراجع والمصادر ودراستها وتحليلها بطريقة علمية للوصول إلى الحقيقة بأقرب صورة ممكنة.

الأسباب و الظروف الدولية التي أدت إلى الحرب العالمية الأولى:

شهدت الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى تطورات هائلة في الشؤون الدولية، كتدعيم الإمبراطورية الألمانية، و تكوين التحالف الثلاثي الذي مر تكوينه بعدة مراحل بدءاً من عصبة الأباطرة الثلاث سنة 1872م، ويضم القيصر الألماني، وقيصر روسيا، وقيصر النمسا والمجر، و أخيراً التحالف الثلاثي بين ألمانيا و النمسا و إيطاليا 1891م ثم الوفاق الودي1904م بين بريطانيا و فرنسا.

كما ازدادت حدة المسألة الشرقية بين الدول الأوربية لتقاسم أملاك الدولة العثمانية في حالة انهيارها، و تعددت الروابط بين الدول و لم تعد دولة تعيش بمعزل عن سواها[1]. و ابتداء من عام 1906 حصلت أزمات و مشاكل بانتظام كل عام أو عامين حتى سنة 1914م، وفي كلٍ منها كان الوفاق الإنكليزي الفرنسي الروسي يواجه الحلف الألماني النمساوي الإيطالي، و كانت بريطانيا محور السياسة العالمية بفضل سيطرتها الإمبراطورية الواسعة حيث تأرجحت سياستها بين التقرب من ألمانيا و التقرب من فرنسا حسب ما تمليه عليها الظروف، غير أنه في أوائل القرن العشرين انتهى الأمر بارتباط بريطانيا سياسياً بالمعسكر الفرنسي الروسي بعد الاتفاق الودي عام 1904م، و ذلك بعد ظهور المنافسة الألمانية ضد بريطانيا في المجال التجاري و التغلغل الاستعماري و في مجال بناء القوة البحرية و التسلح[2].

و من جهة أخرى كانت الدولة العثمانية مشغولة بالحروب البلقانية و التقلبات السياسية فيها. و حدثت أزمات خلال العشر سنوات التي سبقت الحرب أدت إلى اضطراب الموقف و أثرت على ميزان القوى و هي أحداث الجزيرة الخضراء و البوسنة و أغادير، ففي الجزيرة الخضراء عقد مؤتمر لبحث موضوع المغرب عام 1906م[3].

قيام النمسا بإعلان ضم البوسنة إلى أراضيها في أكتوبر 1908م فقد أحدثت دوياً هائلاً في أوروبا، إذ طالبت روسيا بالتعويض عن ذلك بالموافقة على مرور سفنها الحربية عبر المضائق[4].

من الأسباب أيضاً إرسال ألمانية سفينة حربية إلى ميناء أغادير 1911م في جنوب المغرب بحجة حماية المصالح الألمانية، والاحتجاج على أعمال فرنسا وإسبانيا هناك[5].

---

[1] الحميد، عبد اللطيف محمد، البحر الأحمر والجزيرة العربية في الصراع العثماني البريطاني خلال الحرب العالمية الأولى، ط1، 1994م، ص76.

[2] فرج الله، سمعان بطرس،العلاقات السياسية الدولية في القرن العشرين، ج1، مكتبة الأنجلو مصرية، ط1، 1974م، ص45-47.

[3] الحميد، مرجع سابق، ص80.

[4] بيروتي، يولاند، حضارة الشعوب الوسطى، ج2، دائرة المعارف الحديثة، ص75.

[5] فارس، محمد خير، المسألة المغربية 1900- 1912م، مكتبة دار الشروق، بيروت، ط1، 1979م، ص472.

كان من نتائج هذا الأحداث وقوف بريطانيا إلى جانب فرنسا أكثر من ذي قبل، ويرى البعض أنه لم يكن لأي حادث من أثر في نشوب الحرب قدر ما كان لحرب البلقان 1912–1913م، أما الأحداث الأخرى فإنها ساعدت في اضطراب الموقف فحسب، فنلاحظ أن الحرب البلقانية أحدثت زيادة مستمرة في الحركة نحو القومية في النمسا والمجر والدولة العثمانية وأبرزت الصرب وبلغاريا واليونان ورومانيا كدولة عسكرية غازية استطاعت تأكيد هيبتها في حركة حماسية كما فعلت الصرب في دعوتها إلى الجامعة الصربية، والدولة السلافية الكبرى، وأصبح موقف روسيا ذا أهمية بالغة بعد حرب البلقان التي أخذت تتحكم في الصرب، ومن مجموع هذه المشكلات المنافسة الألمانية للمصالح الأوروبية وخاصة بريطانيا، ويمكن القول إن اقتراب ألمانية من الدولة العثمانية في السنوات الأخيرة الذي أخذ طابع الصداقة القوية بشكل أفزع الدول الأخرى وخاصة بريطانيا، وتمسك العثمانيون بهذه الصداقة التي وجدوا فيها السد المنيع ضد أطماع الدول الأخرى من أهم الأسباب العميقة للحرب التي ستشتعل بين الدول[6].

أما السبب المباشر فهو مصرع فرنسيس فرديناند وريث العرش النمساوي في سراييفو عاصمة البوسنة في 28 تموز 1914م على يد طالب متطرف مما أثار عاصفة من الاستياء والتذمر في مملكة النمسا والمجر[7].

ولما كانت صربيا التي تتزعم القومية السلافية وكانت النمسا تنوي السيطرة على صربيا العاصية عليها فانتهزت فرصة وقوع حادثة الاغتيال لإعلان الحرب ضد صربيا في 28 تموز 1914م، وسرعان ما انتشرت هذه الحرب المحلية لتشمل القارة الأوروبية برمتها، فقد أعلنت روسيا أنها لن تتخلى عن صربيا بعد إعلان النمسا الحرب على صربيا في 28 تموز 1914م، ثم على روسيا في 5 آب 1914م، ثم أعلنت ألمانيا الحرب على روسيا وفرنسا[8]، إنذاراً إلى بلجيكا تطالبها فيها بالسماح للقوات الألمانية بعبور الأراضي البلجيكية لمهاجمة فرنسا وفي الحال دخلت بريطانيا الحرب للدفاع عن حياد بلجيكا وهكذا خلال أسبوع واحد تطورت الحرب بين النمسا وصربيا إلى حرب أوروبية كبرى، ويمكن القول أن دخول بريطانيا الحرب إلى جانب الحلفاء بسبب خوف بريطانيا من انتصار الألمان في هذه الحرب، الأمر الذي سيؤدي إلى سيطرة ألمانيا على القارة الأوروبية وتهديد المصالح البريطانية في العالم[9].

يمكننا القول أن قطبي النزاع في هذه الحرب هي ألمانيا وبريطانيا، فالطموحات الكبيرة للألمان واجهتها بريطانيا التي رأت في ألمانيا المنافس العنيد لها وهي سيدة البحار والمستعمرات، وهكذا بدأت الحرب فعلياً بفريقين متقابلين ألمانيا والنمسا والدولة العثمانية من جهة، وفرنسا وروسيا وبريطانيا وبلجيكا من جهة أخرى[10].

وضع مصر قبل الحرب العالمية 1914م وأهم القوى الموجودة فيها:

كان مركز مصر الدولي قبل الحرب العالمية الأولى تحدده معاهدة لندن سنة 1840م، حيث تم الاعتراف بقدر كبير من الاستقلال الذاتي لمصر، وضمان عرش مصر في أسرة محمد علي، ولم يكن يحد من هذا الاستقلال سوى قيد

[6] الحميد، مرجع سابق، ص81.

[7] داموك، عبد الواحد، الحرب العالمية الأولى والثانية قراءة ما بين السطور، دمشق،1999م، ص73.

[8] معتوق، فردريك، معجم الحروب، طرابلس، 1996م، ص288.

[9] الحميد، مرجع سابق، ص82.

[10] بيروتي، مصدرسابق، ص75.

السيادة العثمانية التي قررتها معاهدة لندن، وقد تراخت هذه السيادة مع مرور الزمن حتى صارت سيادة أسمية، إذ لم يكن قد بقي من مظاهرها سوى الجزية السنوية التي التزمت بها مصر حيال الدولة العثمانية[11].

لذا كان الخديوي يحكم بموجب حق الوراثة وما يزاوله من سلطة يتأثر من حيث مداه وقوته بالسيادة الاسمية التي تزاولها الدولة العثمانية، كما يتأثر بعد 1882م بوجود الاحتلال البريطاني لمصر، ومن هنا يمكن القول أن أي قرار سياسي يصدر عن الخديوي كان محكوماً بهذه الاعتبارات[12].

في فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى كان عباس حلمي الثاني هو خديوي مصر الذي حاول الاستعانة بالدولة العثمانية لمقاومة سيطرة الاحتلال فأصبح محور الحياة السياسية والوطنية في ذلك الوقت، لكنه لم يستمر على موقفه هذا إذ أعاد النظر في موقفه العدائي إزاء سلطات الاحتلال بعد عدة حوادث منها حادثة فاشودة 1898م إذ رأى أن فرنسا لاتنوي معارضة النفوذ البريطاني فبدأ بالتعاون مع الانكليز[13].

في ذلك الوقت كان للحركة الوطنية ثقلها على الساحة المصرية بأطيافها المختلفة، فقد كانت علاقتها بالخديوي قوية قبل الاحتلال فعندما لم يبد الخديوي أي اعتراض على تزايد السلطة البريطانية في الادارة حدث اقسام في صفوف الحركة التي ظلت متماسكة فترة من الزمن فانقسمت إلى ثلاثة أحزاب سياسية هي الحزب الوطني وحزب الإصلاح الدستوري وحزب الأمة، وسعى الانكليز إلى كسب الخديوي إلى جانبهم وفصله عن الحركة الوطنية إذ رأوا أن تعاونه مع الحركة الوطنية في سبيل مصالح شعبه يمثل خطراً على مصالحها، فالسلطة المحلية في البلاد ترتكز على محورين هما الخديوي والأحزاب وأي اتفاق بين هذين المحورين يشكل قوة لصالح البلاد وخطراً على مصالح بريطانيا[14].

إلى جانب القوى المحلية في المنطقة تقف الدولة العثمانية في مقدمة الدول التي لها نفوذ كبير في المنطقة بحكم كونها دولة إسلامية[15].

كذلك كانت فرنسا التي لها مصالح في المنطقة وخصوصاً بعد افتتاح قناة السويس، وأيضاً بريطانيا التي كانت من أقوى الدول الاستعمارية آنذاك، حيث كان هدفها الأول هو المحافظة على طريق مواصلاتها مع الهند درة التاج البريطاني، وعند افتتاح قناة السويس[16]غرقت مصر بأزمة مالية، وجدت فيها بريطانيا فرصة مناسبة للتدخل في شؤون مصر، وعلى إثر قيام ثورة عرابي التي انتهت بضرب الاسطول البريطاني للإسكندرية 1882م، ثم نزول الجيش البريطاني في الإسماعيلية واحتلال القاهرة، ، ومنذ ذلك التاريخ بدأت مرحلة الاحتلال العسكري البريطاني لمصر[17] الذي عصف باستقلال البلاد فأضحى المعتمد البريطاني هو الحاكم الحقيقي للبلاد، وخضعت الحكومة الأهلية للسيطرة

[11] الرافعي، عبد الرحمن، ثورة 1919 تاريخ مصر القومي من سنة 1914– 1921م، ج1، النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1946م، ص10.

[12] الحميد، مرجع سابق، ص9.

[13] عمر، عبد العزيز، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دار النهضة، بيروت،1980م، ص362–373.

[14] الحميد، مرجع سابق، ص19.

[15] المرجع نفسه، ص31.

[16] صفوت، محمد مصطفى، انكلترا وقناة السويس 1854–1951م، الجمعية الوطنية للدراسات التاريخية، 1952م، ص9.

[17] الحميد، مرجع سابق، ص48–49–50.

الإنكليزية التي استبدت بشؤون البلاد كافة، وحاولت فصل السودان عنها وألغت الدستور الذي كان قائماً قبل الاحتلال[18].

يمكن القول أن الحركات الوطنية بادئ الأمر كانت ضعيفة لم تظهر بشكل واضح إلا سنة 1892م عندما رقي العرش عباس حلمي الثاني، والواقع أن أول نزاع نحو تكوين إدارة وطنية ظهرت عند مصطفى كامل الذي انقطع للجهاد في سبيل الاستقلال، وأسس الحزب الوطني سنة 1907م، و كان يأمل في أن يكتسب تأييد الرأي العام الأوروبي لقضية بلاده وتحريرها من الاحتلال، فبذل غاية الجهد لنشر الحقيقة عن القضية المصرية في جميع العواصم الغربية وفي مصر نفسها، كما أن صحيفة اللواء التي أسسها سنة 1900م، والتي ظهرت ابتداء من سنة 1907م باللغتين الإنكليزية والفرنسية لاقت رواجاً واسعاً كان يهدف منها تكوين منارة لبث الروح الوطنية وتفنيد مزاعم الاحتلال وحث المصريين على الجهاد والنضال[19].

لقد استطاع مصطفى كامل والحركة الوطنية أن يفرضوا على الاحتلال تلبية رغبة الشعب المصري من أجل التمتع بنظام برلماني، ولكن هذه الحياة النيابية الجديدة ما لبثت أن تعطلت عند نشوب الحرب العالمية الأولى[20].

سياسة بريطانيا في مصر :

عندما نشبت الحرب العالمية الأولى كانت تركيا ما تزال في مرحلة الحياد، أما الحكومة البريطانية فتضغط على الحكومة المصرية لمنع اتخاذها قراراً بالحياد، وقد أصدرت قراراً في 5 أب 1914 يقضي بعدم التعامل مع ألمانيا و رعاياها و منع السفن المصرية من الوقوف في أي ثغر ألماني، و منع السفن الألمانية من الاستفادة من قناة السويس و الوقوف بها[21].

و لما نشبت الحرب بين إنكلترا و تركيا فرضت الحماية البريطانية على مصر و أسقطت السيادة العثمانية في 18 ديسمبر 1914، و في اليوم التالي مباشرة خلع الإنكليز الخديوي عباس حلمي الذي كان في القسطنطينية و عينوا الأمير حسين كامل منعمين عليه لقب سلطان[22] وقد ذهل الشعب لإعلان الحماية و استقبل ذلك بإلقاء قنبلة على السلطان الجديد الذي قبل بذلك الوضع السياسي[23]. كما أعلنت بريطانيا الأحكام العرفية، و منعت الاجتماعات حيث أعلنت قانون التجمهر و ضيقت على الصحافة حيث أغلقت الجرائد الوطنية و فرضت الضرائب و نكلت بالرجال الأحرار و زجتهم بالسجون و المعتقلات، كما قامت بعزل مصر عن العالم العربي و عملت على ربط مصر بالسياسة البريطانية.

[18] الرافعي، مصدر سابق، ص10.

[19] بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية بعد الحرب العالمية الأولى، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، 2005م، ص717–718.

[20] المصدر السابق، ص720.

[21] حمروش، أحمد، ثورة 23 يوليو، ج1، الهيئة العامة للكتاب، 1992م، ص75.

[22] الفتيت، محمد علي، الغرب والشرق في الحروب الصليبية إلى حرب السويس الجزء الثاني في عدوان الغرب، مطابع الدار القومية، مصر، ص472.

[23]قدورة، زاهية، تاريخ العرب الحديث، دار النهضة، بيروت، 1985م، ص372.

و على الرغم من أن بريطانيا زعمت أنها أعلنت الحرب لغرضين هما الدفاع عن مصر و حريتها[24] و استمرار تمتع مصر بالسلام، وأن إنكلترا أخذت على عاتقها جمع أعباء الحرب و أنها لا تطلب من مصر سوى الامتناع عن الأعمال ضدها و مع أن مصر أعلنت مسؤوليتها في الدفاع عن مصر إلا أنها جرت الجيش المصري معها في هذه الحرب فقاتل على ضفاف القنال و الصحراء الغربية و اختطف أكثر من مليون مصري من أراضيهم ليعبدوا الطرق الحربية في سيناء و الأراضي الشامية و منهم من ألقت بهم في الأراضي الأوروبية حيث هلك منهم الألوف. كما سخر الاستعمار العمد و المشايخ و المديرين في جمع الأموال بالعنف من الفلاحين البؤساء، كما صادرت المحاصيل و المواشي بأثمان رخيصة، وهذا كله كان له مضار اقتصادية منها هبوط سعر القطن في أول سنة للحرب الامر الذي سبب خراب شامل للفلاح الصغير، كما كانت قيادات الحركة الوطنية أضعف من ان تناهض الألوف من قوات الاحتلال[25]، و هكذا أصبحت مصر في وضع فريد حقاً، مع أنها لم تكن دون محاربة أو حتى محايدة إلا أنها وجدت نفسها في قلب الصراع الذي لم تكن فيه طرفاً إلا بحكم أنها كانت محتلة من قبل الإنكليز، فغدت أرضها مسرحاً للصراع الحربي و جبهة قتال ذات أهمية بالغة، و على أي حال لم يلق هذا الإجراء البريطاني بإعلان الحماية تأييد السلطات البريطانية ولا الشعب المصري باستثناء فريق منه، و باستحداث عدد من الإجراءات فرضت إنكلترا على مصر أن تواجه أحداث الحرب الكبرى و هي متجردة من كل سلطة أو مؤسسة حقيقية يخشى خطرها فتحول مجلس الوزراء إلى هيئة استشارية، كما تم ترحيل ما تبقى من الجيش المصري إلى السودان خشية اندلاع ثورة بفعل الدعاية و النشاطات الألمانية_التركية، و لم يكن سهلاً أن تزدرد كل هذه الإجراءات و تهضمها دونما احتجاج أو عصيان[26]، كما استبدلت الحكومة البريطانية هنري مكماهون بالمندوب السامي البريطاني السير وينجت، فقد ابتكر هذا أسلوباً جديداً لاستغلال القوة البشرية المصرية فشكل ما يسمى فيلق العمل المصري، كانوا يسخرون فيه العمل في حفر الآبار و إقامة و دق السكك الحديدية، و هكذا جند البريطانيون مئات الآلاف من المصريين و حشدوهم في أعمال صعبة شديدة الخطر و القسوة[27]، و بدلاً من أن يضعوا بأيديهم السلاح وضعوا الفؤوس و المعاول و أدوات الحفر و البناء[28].

حملة قناة السويس:

في 2 آب عام 1914 أعلنت تركيا التعبئة العامة بقصد مهاجمة القناة فعينت لذلك أحمد جمال باشا الذي كان في السابق وزيراً للبحرية قائداً عاماً للحملة، الذي كانت له أهداف و مطامع في مصر، فقد تشكل مصر بالنسبة إليه كالألزاس و اللورين بالنسبة لفرنسا، كما تراوده أحلام الجلوس على عرش مصر بعد الاستيلاء عليها[29].

1_ فبالنسبة للألمان كانت الناحية الحربية هي التي تهمهم أكثر من أي شيء آخر على الرغم من أن هناك أموراً هامة أخرى حاول الألمان كسبها في حملة القناة و هي ضمان استمرار الحرب بين العثمانيين و الإنكليز و الحيلولة دون

[24] قدورة، مرجع سابق، ص372.

[25] مؤنس، حسين، دراسات في ثورة 1919م، دار المعارف، مصر، 1976.

[26] الشلق، أحمد، معالم التاريخ المصري الحديث والمعاصر، الدوحة، ط1، 1986م، ص153.

[27] ياغي، اسماعيل أحمد، تاريخ العالم العربي والمعاصر، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 2000م، ص 259.

[28] حمروش، مرجع سابق، ص78.

[29] برو، توفيق، القضية العربية في الحرب العالمية الأولى 1914-1918،ط1، 1989م، ص91.

التفكير بإمكان عقد صلح منفرد بينهما، فالحملة تعد مكسباً للألمان مهما كانت نتائجها على حد قول الألمان أنفسهم[30].

2_ و بما أن قناة السويس هي الممر الذي تنقل إنكلترا جيوشها عبره فإن احتلال مصر في حال نجاح الحملة يحرمها من هذا المعبر، و في حال تعذر فتحها فلا يكون متعذراً إعاقة هذه الجيوش و إبقاءها أياماً طوالاً في قناة السويس، و إقصاؤها عن الساحة الغربية التي يكون فيها تقرير المصير.

3_ كما إن في شأن هذه الحملة أن تشغل الإنكليز بالدفاع عن مصر و تحول بينهم و بين التفكير في أي محاولة للهجوم على المضائق و قلاعها.

بالإضافة إلى الاستفادة من موارد مصر الاقتصادية، و حيازة الألمان أسهم من القناة[31]، أما خطة جمال باشا التي كانت بمساعدة الألمان بأن تتوجه الحملة من دمشق، مركز تجمع القوات فتسير عبر فلسطين في طريق داخلي حتى تصل منطقة النقب، و من هناك تتجه إلى العريش حتى تصل القناة، و كانت الحملة قد سلكت الطريق الداخلي في فلسطين لأن الطريق الساحلي محفوف بالخطر من مهاجمة الأسطول الفرنسي أو البريطاني.

وقد تم تنفيذ هذه الخطة بالفعل لكن اجتياز سيناء كان أمراً عسيراً، ورغم كل الصعوبات استطاعت الحملة اجتياز الصحراء، وكانت الخطة العسكرية التي حاولت تنفيذها الحملة هي كالتالي:

1- تتجه قوة جزئية إلى العريش.
2- تتجه قوة أخرى إلى السويس.
3- تتجه القوة الرئيسية إلى الإسماعيلية.

كان من المفروض ألا يتنبه الإنكليز إلى هذه الخطة فيوزعون قواتهم توزيعاً متكافئاً بحيث يسهل على القوة الزاحفة على الإسماعيلية أن تضرب ضربتها فتقطع اتصال القناة من الجنوب، ولكن جواسيس الإنكليز والذين كان بعضهم من الضباط الأتراك ممن أغراهم المال كانوا قد ألمحوا إلى مستأجريهم خبراً عن هذه الخطة فعمد الإنكليز إلى تعزيز قوات الإسماعيلية بشكل عاجل، وحين وصول الأتراك إلى هدفهم حاولوا القيام بالهجوم المحدد في 3 شباط 1915م[32].

وأثناء هبوب عاصفة هوجاء وفي جو غائم ساعد الحظ سريتين من السرايا العثمانية باجتياز القناة على جسرين عائمين من الجسور التي جلبت مع الحملة، فتعالى تهليلها وتكبيرها على الضفة الأخرى، ولكنه لم يلبث أن خف بعد وقوع أفرادها في الأسر بينما غرقت بقية السرايا المهاجمة مع الجسور العائمة التي دمرتها بفعل المدفعية المعادية[33].

كان الاعتقاد الذي سيطر على عقل جمال باشا أنه متى ظهر شبح الجندي العثماني عبر قناة السويس ستندلع ثورة الشعب العربي في طول البلاد وعرضها، فيصبح الإنكليز بين عدوين أحدهما داخلي والآخر خارجي، وإن الثورة الداخلية ستساعد الأتراك على طرد الإنكليز والاستيلاء على مصر، إلا أن المصريين لم يثوروا ولم يتجاوبوا مع هجوم الأتراك، وهكذا لم يحاول الأتراك معاودة الكرة، حتى أصلتهم المدافع الإنكليزية من الضفة الثانية، نيراناً حامية زرعت الرعب في صفوفهم فارتد الأتراك على أعقابهم بغير انتظام، وأعقب ذلك نسف بقية الجسور التركية الملقاة على الضفة الشرقية وتدميرها من قبل مدفعية السفن الإنكليزية والفرنسية خوفاً من عودة الأتراك من استعمالها إذا فكروا بمعاودة

[30] الحميد، مرجع سابق، ص160.

[31] برو، مرجع سابق، ص100–101–102.

[32] الديراوي، عمر، الحرب العالمية الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1994م، ص188.

[33] برو، مرجع سابق، ص108.

الهجوم، وهكذا انسحب جمال باشا في مساء 1915/2/3م يجر أذيال الخيبة بعد أن عجز جيشه عن الصمود والبقاء على ضفة القناة أكثر من يوم واحد، وقد بلغت خسارة الأتراك ما يقارب 200 جندي وضباط من القتلى و600 من الجرحى وهرب وأسر ما يقارب ألف رجل، ولو تابعهم الإنكليز إلى الضفة الشرقية لأنزلوا بهم كارثة مفجعة[34].

أما أسباب فشل الهجوم العثماني الأول على القناة كان لعدة أسباب:

1- قيادة الجيش العثماني لم تكن واثقة بالنجاح النهائي لعلمها بمناعة الاستحكامات الإنكليزية في القناة في الوقت الذي لا تملك فيه الحملة سوى موارد قليلة.

2- عملية العبور تأخرت قليلاً عما كان مقرراً حيث كانت الشمس في الأفق عند مد الجسور والشروع في العبور فأصبحت العملية واضحة للقوات الإنكليزية.

3-قطع الجيش العثماني مسافة طويلة عبر صحراء جرداء تندر فيها المياه، ويصعب فيها نقل مواد التموين، مما كان له أثر كبير في إنهاك القوات العثمانية.

4- الألمان صوروا للعثمانيين أن القوات البريطانية قد أحدق الخطر في كل مستعمراتها ومن السهل عبور القناة في ظل هذه الظروف.

5-التفوق البريطاني في مجال الطيران حيث أمدت الطائرات الاستكشافية الإنكليزية بمعلومات وافية عن تجمعات السرايا وخطة العثمانيين.

أما البريطانيين فقد توافرت لديهم المياه والتموينات الغذائية في الوقت الذي لم يخاطروا فيه بالزحف عبر الصحراء القاحلة، بل ظلت قواتهم متمركزة في خنادقها ومراكز مراقبتها[35]، بعد اخفاق الحملة العثمانية على القناة يبدو أن بريطانيا شعرت بتفوقها وقدرتها على التحكم بشكل أكبر على مصر فبدأت بتشديد قبضتها أكثر من ذي قبل، ويبدو أيضاً أن أهداف بريطانيا الحربية أخذت تتوسع فقامت بتوجيه حملة لمساعدة جيوش الشريف حسين لتحرير بلاد الشام التي تنطلق منها الهجمات العثمانية[36].

منعكسات الحرب على مصر:

كانت للحرب العالمية الأولى نتائج انعكست على جميع الدول التي كانت خاضعة للحكم العثماني من ناحية وعلى جميع الدول التي شاركت في الحرب العالمية الأولى، وما يهمنا دراسة منعكسات الحرب على مصر، حيث شكلت مصر الامتداد الجغرافي لهذه الدراسة ونهاية الحرب عام 1918 الامتداد الزمني لهذا الموضوع، فالدول المتحاربة مثل إنكلترا وغيرها كانت لها مواقف تجسدت على أرض الواقع بصورة واضحة خلال الحرب العالمية الأولى هذه المواقف انعكست على البلاد العربية بشكل عام وعلى مصر بشكل خاص، وهذه النتائج يمكن أن نلمسها من خلال مظاهر متعددة:

-على الصعيد السياسي:

لقد كان لسياسة بريطانيا التي ظهرت منذ عام 1882م منعكسات كثيرة على مصر وذلك من خلال الإجراءات التي اتبعتها، وساعدتها على تطبيق سياسة القبضة الحديدية، والتي أسفرت عن تذمر الشعب من هذه السياسة، فقد وعدت

[34] المرجع السابق، ص110.

[35] الحميد، مرجع سابق، ص175-176.

[36] المرجع نفسه، ص179.

الشعب المصري بالجلاء عن البلاد لكنه شهد على مر السنين نقض لهذه الوعود، لا بل ازداد التغلغل الاستعماري في شؤون البلاد وتم فصل السودان عن جسم الوطن واستئثار إنكلترا بحكمه، وعمدت على إلغاء الجيش المصري وتجريد البلاد من كل قوة حربية وتعيين المستشارين الإنكليز في مختلف الوزارات، حيث أسهمت سياسة بريطانيا كثيراً في دمار الحياة السياسية بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، ولعل أبرزها ما ذكره عبد الرحمن الرافعي <<*لقد شهدت مصر مصرع الحكومة الأهلية وإهدار استقلال البلاد وإلغاء مجلس النواب وإبطال النظام الدستوري الذي نالته البلاد من قبل، والذي كان أداة لمقاومة التدخل الأجنبي، فقد ألغاه الاحتلال وأنشئ بدلاً منه نظاماً صورياً قوامه مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية، ثم الجمعية التشريعية وكلها هيئات دستورية لاحول لها ولا قوة ففقدت البلاد في عهد الاحتلال استقلالها ودستورها ورزحت تحت نظام حكم استبدادي خاضع للسيطرة الأجنبية وهكذا نجد أن الاحتلال يزداد رسوخاً ويسوء مركز مصر السياسي*>>[37].

ما إن انتهت الحرب العالمية الأولى، حتى بادر الشعب المصري بالتعبير عن إرادته، وفي يوم الهدنة (1918م) تقدم سعد زغلول الوكيل المنتخب للجمعية التشريعية التي توقف عملها مع اشتعال الحرب مع علي شعراوي وغيرهم بطلب مقابلة المندوب البريطاني، فتشكل حزب الوفد المصري برئاسة سعد زغلول بناءً على عرائض وقعتها الجماهير من مختلف المديريات تفوضهم بأن يسعوا بالطرق السلمية لاستقلال مصر، وقد فكر سعد ورفاقه بالسفر إلى الخارج لعرض قضية مصر على المسؤولين في الحكومة البريطانية، فرفض الجيش البريطاني السماح لهم بالسفر فكان من نتائج ذلك اندلاع ثورة 1919م تحت ضغط واصرار البريطانيين على فرض الحماية على مصر، وحالة الانهيار التي امتدت خلال سنوات الحرب والمعاملة السيئة وأعمال السخرة للمصريين من جانب الاحتلال، والتطلع إلى الاستقلال العام (مصر للمصريين)[38].

خاصة بعد تصريحات ولس القائلة: ((بأن العالم سينظم من جديد على أساس حق الشعوب في تقرير مصيرها)) والتي لقيت صدى كبير في مصر فأدت إلى اشتعال الثورة بين مختلف الفئات فكانت ثورة على السياسة البريطانية التي مارستها حيال مصر[39].

-منعكسات الحرب على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي:

تذكر بعض المصادر أن اقتصاد مصر قد تأثر، فارتفعت أسعار القطن عام 1917م الأمر الذي أدى إلى ثراء الكثيرين من التجار، كما أدت الحرب إلى قطع العلاقات التجارية مما ساعد على تطوير الصناعة وتنشيط رأس المال وخلق مئات المشاريع الصناعية، وقد ازداد عدد العمال حتى بلغ حوالي نصف مليون عامل عام 1917م([40])، كما أدت الحرب إلى ثراء الملاكين والتجار وأصحاب المشاريع لدرجة كبيرة ويمكن القول أن التحسن الاقتصادي ما كان ليتم لولا رغبة إنكلترا في خدمة مصالحها ومع ذلك فإن إثراء البرجوازية المصرية لم تكن خارج وصاية رأس المال المصرفي الإنكليزي، بل اشتدت درجة تبعية مصر المالية والاقتصادية لإنكلترا في سنوات الحرب، ففي 2 آب 1912م منعت السلطات البريطانية تحويل الأوراق المالية إلى ذهب في البنك الأهلي المصري، وأدخلت في التداول الأوراق النقدية بصورة إجبارية، وأودع في الخزينة الإنكليزية الرصيد الذهبي الخاص بالبنك الأهلي، وانتزعت السلطات

[37] الرافعي، مصدر سابق، ص40.

[38] حمروش، مرجع سابق، ص79.

[39] حسين، أحمد، موسوعة تاريخ مصر، ج4، مطابع دار الشعب، القاهرة، 1987م.

[40] جرجين، فوزي، دراسات في تاريخ مصر السياسي في العصر المملوكي، القاهرة، 1958م، ص130.

الإنكليزية العملة الذهبية والفضية من التداول، وفي سنوات الحرب ازدادت كمية الأوراق النقدية المتداولة فإذا كان مقدارها 8250 ألف جنيه استرليني في نهاية 1914م، ازدادت في نهاية 1919م إلى أكثر من ثمانية أضعاف وسبب ذلك الأوراق النقدية التي يصدرها البنك الأهلي بلا رصيد[41].

نستنتج مما تقدم أن بريطانيا لم تكن إلا دولة ترى في مصر درة ثمينة أشبه ما تكون درتها الأخرى مع الهند، باعتبار أن مصر تشغل موقعاً جغرافياً استراتيجياً هاماً يضاف إلى ذلك الموارد الاقتصادية والبشرية التي تشكل رافداً هاماً لاقتصادها، وأما بالنسبة للمجتمع المصري لم يعد كما كان قبل الحرب فلم يكن الكبت السياسي والاستغلال الاقتصادي الاستعماري البشع إلا ستاراً واهياً يخفي التحفيز الشعبي نحو الانقضاض على الاستعمار والتخلص من سلطته[42]، فقد كانت ظروف الحرب العالمية الأولى قد ساعدت على زيادة نمو المجتمع وأصبح المجتمع بعد الحرب أكثر تقدماً عما كان عليه في السنوات الماضية، فانتشار التعليم وتطور الأفكار واتساع المدارك والاحتكاك بالأجانب ومشاهدة الصراع الدولي والنهضة الأدبية والعلمية، كل ذلك ساعد على نمو الروح السياسية وجعل المجتمع أكثر تطلعاً إلى المثل العليا، وأشد تبرماً بالنظم الاستبدادية أو التحكم الاستعماري التي ترجع به إلى الوراء وتفقد كرامته الإنسانية وحقوقه، وإن هذا المجتمع في أواخر سنة 1918م كان أكثر إدراكاً وأقوى شعوراً مما كان عليه قبل عشر سنوات أو عشرين سنة[43].

خاتمة:

بعد دراسة المنعكسات التي أسفرت عنها الحرب العالمية الأولى على مصر وما طرأ على مصر من خضوع تام للإنكليز الذي لم يزد الشعب المصري إلا إصراراً وتصميماً للتخلص من هذا الخضوع، والاتجاه نحو العمل السياسي وضد الوجود البريطاني في مصر.

لكن لهذه الحرب نتائج أخرى انعكست على دول العالم التي شاركت في الحرب، إضافة إلى الدول التي كانت مسرحاً لهذه الحرب.

لقد انتهت الحرب العالمية الأولى بمؤتمر عقد في باريس، والذي اشتركت فيه 27 دولة لتعيد ترسيم خارطة العالم، فقد أسفر هذا الاجتماع عن عقد معاهدة للسلام وقعت في مدينة فرساي قرب باريس بتاريخ 28 حزيران 1919م، ويمكن القول أن من أبرز نتائج الحرب العالمية الأولى هو سقوط الإمبراطوريات الكبرى واضمحلالها مثل (النمساوية– المجرية– الجرمانية– البروسية– العثمانية)، وإعادة ترسيم خارطة أوروبا على ضوء معطيات سياسية جديدة، حيث أنشئت جمهوريات جديدة كما قسمت السلطنة العثمانية إلى منطقتي نفوذ أحدها تحت الانتداب الفرنسي / سوريا ولبنان/ والأخرى تحت الانتداب البريطاني /فلسطين وشرقي الأردن/ وفي 28 نيسان وبموافقة جميع الحلفاء تأسست جمعية الأمم التي فرضت باسمها اتفاقيات السلام على الدول المهزومة.

هذه الحرب التي ربما استنزفت قوى مصر لكن هذا لم يثني المصريين عن المطالبة بحقوقهم بشكل دائم، ولولا هذا الإصرار ما كان لمصر أن تستقل عن بريطانيا عام 1952م.

[41] لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، دار التقدم، موسكو، 1971م، ص448.

[42] جرجين، مرجع سابق، ص131.

[43] الرافعي، مصدر سابق، ص66–67.

Reference

[1]- Al-Derawi, Omar, *World War I*, Dar Al-Alam for Millions, Beirut, 1st edition, 1994 AD.
[2] Al-Hamid, Abd al-Latif Muhammad, *the Red Sea and the Arabian Peninsula in the Ottoman-British conflict during World War I*, i 1, 1994.
[3]- Al-Rafii, Abdel Rahman, *the Revolution of 1919, the National History of Egypt from the year 1914-1921 AD*, Part 1, the Egyptian Renaissance, Cairo, I 1, 1946 AD.
[4]- Al-Shalak, Ahmed, *Milestones of Egyptian Modern and Contemporary History*, Doha, 1st edition, 1986 AD.
[5] Beirut, Yoland, *Civilization of the Peoples*, Part 2, Circle of Modern Knowledge.3-
[6] Brockelmann, Carl, *History of Islamic Peoples*, translated by Nabih Fares and Amin Al-Baalbaki, Dar Al-Alam for Millions, Beirut, 2005 AD.
[7]- Damoc, Abdul Wahid, *World War I and II, Reading Between the Lines*, Damascus, 1999 AD.
[8]- Faraj Allah, Semaan Peter, *International Political Relations in the Twentieth Century*, Part 1, The Anglo-Egyptian Library, 1st Edition, D.T.
[9]- Faris, Muhammad Khair, *The Moroccan Question 1900-1912 AD*, Dar Al-Shorouk Library, Beirut, 1st floor, 1979 AD.
[10]- Fattit, Muhammad Ali, *the West and the East in the Crusades to the Suez War*, part 2, Al-Dar National Press, Egypt.
[11]- Gergin, Fawzi, *Studies in the Political History of Egypt in the Mamluk Era*, Cairo, 1958 AD.
[12]- Hamroush, Ahmad, *July 23 Revolution*, Part 1, General Book Authority, 1992-
[13]- Hussein, Ahmad, *Encyclopedia of Egyptian History*, Dar Al-Shaab Press, Cairo, 1987.
[14]- Lutsky, History Of Modern Arab Countries, House Of Progress, Moscow, 1971,.
[15]-Maatouq, Frederick, *A Dictionary of Wars*, Tripoli, Lebanon, 1996.
[16]- Moanes, Hussein, *Studies in the Revolution of 1919*, Dar Al-Maarif, Egypt, 1976.
[17]- Omar, Abdel-Aziz, *Studies in Modern and Contemporary Arab History*, Dar Al-Nahda, Beirut, 1980.
[18]- Pro, Tawfiq, *The Arab Cause in World War I 1914-1918*, 1st edition, 1989 AD.
[19]- Qadura, Zahia, *History of Modern Arabs*, Dar Al-Nahda, Beirut, 1985.
[20]- Safwat Muhammad Mustafa, *England and the Suez Canal 1854-1951 AD*, National Society for Historical Studies, 1952 AD.
[21] Yaghi, Ismail Ahmed, *History of the Arab and Contemporary World*, Obeikan Library, Riyadh, 1st edition, 2000 AD.